

كان يا ما كان

ملكة الأزهار



كان يا ما كان ...

مَلِكَةُ الْأَزْهَارِ



مقتبساً عن حكايات هانس كريستيان أندرسن
رسم : منصور عموري

أجابته الساحرة : « نعم، يُشكِّنني ذلك. تخذي حبة الشعير هذه ! إنها
تختلف عن تلك التي تُزرع في حقل الفلاح، أو تلك التي تُطعم بها
الدجاج. ضعيها في وعاء و سترين ! فستكونها السمرة و أعطتها لبعض
الجمال ثم غادرت المنزل.



كان في قديم الزمان، و سالف العصر و الأوان امرأة أرادت أن يكون لها طفل
صغير، لكنها لا تدرى كيف تتحصل عليه. فخطرت في ذهنها فكرة الذهاب إلى
حيزون الساحرة. لما استقبلتها الساحرة عرضت عليها حاجتها قائلة : « و ذهبت
لو كان لدي طفل صغير، فلا ذللتني على كيفية الحصول على واحد ؟ »



أثناء تقبيلها، انفتحت الزهرة محدثة دويًا شديدًا.. كانت فعلاً زهرة
خزامى، وعجأة طلعت من وسطها طفلة صغيرة جدًا لا يتجاوز طولها
أصبع الإبهام. لقد كانت جميلة جدًا، وهي متربعة على كرسي أخضر.
فأشعرت المرأة وسمتها « بنت الزهرة ».



نعد عودتها إلى المنزل، وزعت حبة الشعير. وإذا بها تُعسج زهرة رائعة الجمال
تشبه الخزامى، غير أن بتلاتها ظلت مغلقة ولم تفتح. قالت المرأة: « يا لها
من زهرة آخاذة! » وقبستها يتدقق بالحنان.. حينها راحت تُقبل بتلات الزهرة
الحمراء والصفراء الجميلة برفقة.



في إحدى الليالي، بينما كانت نائمة على فراشها الرقيق، نطقت
صفدع قبيحة السلامح من نافذة مكشورة الزجاج. ففرت على
النافذة حيث كانت تنام بشت الزهرة، نحت غطاء من أوراق
الوردة الأحمر. قالت في نفسها: «قد تليق لاني، سأخذها زينة
له». اختطفت بشت الزهرة وقرت بها من النافذة إلى الشتل.

في الليل، كانت بشت الزهرة تنام على سرير مضيئ من قشرة جوز مصقولة،
وكان فراشها من ثلاث البنفسج الزرقاء، وغطاؤها من ثلاث الورود
أما في النهار فكانت تلعب فوق مائدة صغيرة، عليها صحن يحيط به نايح
من الزهور، غمرت سيقانها في الماء.

سمعت الأسماك الصغيرة ما قالتة الضفدع، فأخرجت رأسها إلى السطح،
فراحت طفلة جميلة تبكي، فحزنت لوجودها في قبضة هذه الشريعة، عرمت
الأسماك على إنقاذها، فتجمعت تحت سطح الماء وغطت ساق النيلوفر.
فأنتشت أوراق الزهرة مع جريان الماء، فبدأت يث الزهرة تتعد شيئا فشيئا
حتى اختفت عن الأنظار، ولم يعد بمقدور الضفدع اللحاق بها.



سبحت الضفدع العجوز في الشجر السليء بزهور النيلوفر فوضعت عليها
شجرة الجوز وبنت الزهرة حتى لا تهرب. وفي الصباح الباكر استيقظت
الطفلة المسكينة، فنظرت من حولها، فذكرت أنها لا تستطيع العودة إلى
لباسه، فبدأت تبكي بمرارة شديدة.



أبحرت بشت الزهرة و مررت بأمكنة متعددة.. التفت بالعصافير و هي
تطير إليها و تغرد لها من أغلى الشجيرات.. التفت أكثر فأكثر إلى
أن وجدت نفسها في غابة كبيرة، أقامت فيها لوحدها. و لكنها كانت
مسرورة لتجارتها من العبادة.

صنعت بشت الزهرة مريزا من الأعشاب، و ثبتت تحت ورقة حميص كبيرة.
و كانت تجمع طلع الأزهار و تتغذى منه لتتغوى، كما كانت تشرب من
قطرات الندى الذي تجده على الأوراق كل صباح. عاشت البقلة الصغيرة
هكذا طويلا. مرفضل الصيف فالخريف.. ثم جاء الشتاء البارد القاسي.

عند ذلك اليوم، صارت بنت الزهرة صديقة للشونوذة وقد أحببتها كثيراً. ولكن بمجرد قدوم فصل الربيع أصبحت أشعة الشمس ترمي بدفئتها على الأرض؛ فغزمت الشونوذة على السفر فطلمت منها أن تراقبها ولكنها أبنت، مدينة بالفضل لقارة الحَقُول التي استضافتها في غارها أثناء محنتها. ودعت الشونوذة بنت الزهرة وطارَتْ عاليًا في السماء.



لقد فاحرت كل العصافير التي عثت لها، وتناقصت أزهار الأشجار وقبضت الأزهار. هذا الحزن يحيط بالمشكينة، فهي عاجزة وصغيرة جدًا في غابة كثيفة، لا تقدر على الرياح العاصفة.. ذات يوم سقطت أرضاً قرب عتبة جحر قارة الحَقُول. فاستقبلتها القارة العجوز و قدمت لها ما يكفيها من أكل و شراب طوال الشتاء. مضى الربيع و الصيف بسلام على بنت الزهرة. و لما حل الحريف التفت شونوذة حريجة تعاني اليزد، فقالت لها بصوت: « العَلَسُ مُتَجِدِّدٌ و الثلوج تتناقص، استريح في سريرك الدافئ و سأعالجك ! » كانت المشكينة تزورها خفية عن قارة الحَقُول.

فَقَالَتْ لَهَا السُّنُونُؤُ : « تَعَالِي وَ طِيرِي مَعِي يَا صَدِيقَتِي الْعَرِيزَةُ، أَنْتِ الَّتِي أَنْقَذْتِ حَيَاتِي،
عِنْدَمَا كُنْتُ مُسْتَلْقِيَةً أَنْجَمْتُ لِي قُبُورَ الْأَرْضِ الْمُظْلَمِ ! »
صَبَعَتْ بِسَّاتِ الرُّهْرَةَ قُوْرًا عَلَى ظَهْرِهَا.. فَطَارَتِ السُّنُونُؤُ فَوْقَ الْغَايَةِ، ثُمَّ فَوْقَ الْبَحْرِ،
وَحَلَقَتْ عَلَیَا فَوْقَ الْجِبَالِ الْمُغَطَّةِ بِالثَّلُوجِ..



بَقِيتِ بِسَّاتِ الرُّهْرَةَ تَعِيشُ فِي الْغَارِ، وَلَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ أَسِيرَةً قَائِمَةً
الْحَقُولِ طَيِّفَةً فَضِلَّ الصَّبِيفُ.. فَازْدَادَتْ تَرْوِيحُهَا بِجَارِهَا الْخُلْدُ.. عِنْدَمَا
سَمِعَتْ الْخَيْرَ، رَفَضَتْ الْبَسَّاتِ الْفِكْرَةَ وَبَكَتْ، فَاجَابَتْهَا الْقَائِرَةُ مُهَذَّبَةً :
« نَافَا ! أَنْرُقُضِينَ ذَلِكَ ؟! جَهْدِي نَفْسَكَ وَلَا تَعْصِي أَمْرِي، وَإِلَّا
أَعْصَلُ بِسَّاتِ الْبَيْعَاءِ هَذِهِ ! » وَ فِي يَوْمٍ آخِرٍ تَمَكَّنَتْ بِسَّاتِ الرُّهْرَةَ مِنْ
الْخُرُوجِ حَلْمَةً لِتَرْوِيحِ الشَّمْسِ.. فَتَلَقَّتِ السُّنُونُؤُ الصَّغِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ
مُحَلَّقَةً مِنْ هُنَاكَ.. فَرِحَتْ لِرُؤْيَا صَدِيقَتِهَا وَحَكَتْ لَهَا مَا تَعَلَّيْنِيهِ بِأَكْبَرِ.



عند وصولهما إلى البلاد الدافئة، انزلت البنت على ورقة، فتعجبت الفتاة.

لقد وجدت رجلاً صغيراً، أبيض وشفافاً كأنه من الزجاج !

له جناحان زائغان، خالسا وسط زهرة. كان يحمل على رأسه تاجاً ذهبياً.. يا لها من مفاجأة.. إنه ملاك الزهرة، وهو ملك الجميع ! نزع تاجه الذهبي ووضعه على رأسها وطلب يدها للزواج لتكون ملكة كل الأزهار.. إنه زوج مختلف تماماً عن ابن الضفدع والخلد الأسود.. قال : « أنت في غاية الجمال.. سأسميك : مايا ! »

أطمأنت السنونوة غلبها قايته : « وداعاً، وداعاً ! » ثم طارت بعيداً.. وعاشا سعيدين في مملكة الأزهار.

